جدليّة أسلمة الأدب العربي: الإشكاليّة والمفهوم

نصر الدين إبراهيم أحمد حسين*

ملخص البحث

أفرزت فترة الحداثة وما بعدها بعض الآراء الفلسفية والنظريات، والأيدلوجيّات المختلفة التي تأثر بها المجتمع العالمي، وأفضى إلى آثار سلبية، قادت في خاتمة المطاف إلى جمود عاطفة الإنسان، وتسلط الآراء الفكرية المنطقية الفلسفية التي أفرزت ما يُسمى بالمذاهب الغربية، وكل هذه المذاهب وما فيها من محتويات ومضامين قد أثّرت في أدبنا المعاصر تأثيرا سلبيا. ومما يؤسف له أن التقليد الأعمى لهذه المذاهب، هوما دأب عليه كثير من أدبائنا المعاصرين، مما شوّه مفهوم الأدب، من أجل هـــذا، دعا بعض الأدباء الحادبين على مفهوم الالتزام في الأدب، ودوره في إصلاح الكـــون والإنســـان والحياة إلى ما يُسمى "بأسلمة الأدب"، فصارت هناك جدليّة بـــين الفـــريقين في الآراء والمنظـــور والمفهوم الحقيقي للأدب.

مقدمة:

إن إشكالية أسلمة الأدب مازالت سؤالا غائبا عن مجريات الأمور، فالقضية لم تحســـم بعد، فما بالك بتحديد مفهوم دقيق وعميق لإسلامية الأدب. إن المسألة ليست ســـهلة – في تقديري – بالرغم من اجتهاد بعض الأدباء في وضع مفاهيم مختلفة للأسلمة. من هنا، فإننا نحاول أن نقف – من هذه القضية – موقفا وسطا، موفقين، بإذن الله تعـــالى

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها, الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

بين الطرفين، ساعيين ما أمكن ذلك لجلاء الموقف، وإيضاح الرؤية التي كادت أن تنعدم تحت ستار، الخلافات المذهبية، وتيّارات الجدل السفسطائي .

ومن ثمّ ، نحاول أن نقف على نقطتين :

الأولى: لماذا إسلامية الأدب أو أسلمة الأدب؟

والأخرى: مفهوم الأدب الإسلامي أو أسلمة الأدب.

أولا: السؤال الغائب؛ لماذا إسلامية أو أسلمة الأدب؟

إن فترة العصور الوسطى أو المظلمة التي ساد فيها ظلام الجهل جميع أوروبا، بالإضافة إلى سيطرة الكنيسة على سلوك المجتمع، وقوة وجبروت رجال الدين وانحرافهم عن جادة الطريق، والكبت الذي لاقاه المجتمع الغربي، خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بوصفهما المسرح الزمني لتحولات الإصلاح والنهضة، حيث يمثلان حلقة الوصل بين القديم والجديد في تاريخ أوروبا. "وإذا كان الإصلاح الديني موجّها إلى الخلف لغلق الباب على العصور الوسطى بكل ما تحمله الكلمة من معاني الجمود الفكري والاستبداد الديني والسياسي، وغيره من ألوان الإقطاع والحيف الاجتماعي، فإن أفكار النهضة كانت موجهة إلى المستقبل، وفتحت الباب على عصر الأنوار أو التنوير أو الحداثة".[1]

إذن كل هذا قد مهّد الطريق إلى استقبال فترة الحداثة وما بعدها، تلك الفترة التي قد أفرزت بعض الآراء الفلسفية والنظريات، والأيدلوجيّات المختلفة التي تأثّر بها المجتمع العالمي، مثل: نظرية دارون (في أصل الإنسان)، وكانط (أنا أفكر إذن أنا موجود)، وديكارت (أنا أشك إذن أنا موجود)، وفرانسيس بيكون وآلته الجديدة، وسبينوزا ورسالته في الأخلاق والسياسة، وهوبز في كتابيه (التنين)، و(المواطن

الصالح)، ونيوتن وآليته، وهيجل والجدل الفلسفي، ونقده للفلسفة الغربيـــة وفكرتـــه التي تدعو إلى شمولية تاريخ الإنسان، وأبعاده الفكرية والاجتماعية والفنيّة والدينيّـــة في نسق من العلاقات المتنقلة من الذات إلى الموضوع تارة، ومن الوعي الفردي إلى العقل الكوني تارة أخرى. كل هذا أدّى إلى آثار سلبية، قادت في خاتمة المطـــاف إلى جمـــود عاطفة الإنسان، وتسلّط الآراء والأفكار المنطقية الفلسفية، حيث تحوّل الإنســـان إلى آلة صمّاء، إلى معادلات رياضية وذلك باسم التطوّر الصناعي والتقدّم العلمي، حـــتى تحوّلت الحالة إلى عقلنة الطبيعة، والتاريخ، والمجال السياسي، ومن ثمّ عقلنة الدين ذاته، وهذه مظاهر العلمانية أو العلمنة ، التي تعني باختصار شديد "أن العالم مع مجيء العصر الحديث، قد تخلّص من كل أنواع القوة فوق الإنســـانية، وفـــوق الطبيعيـــة (الآلهـــة والأرواح)، التي تردّ إليها ثقافة المجتمع القديم، والثقافات غير الصناعية عامة، وجـــود الكون وتكوين الطبيعة، وخلق الإنسان، وإليها أيضا تعود مســـؤولية العنايـــة بهـــذا الوجود من حيث بقاؤه وحركته وعلاقته المتبادلة. وقد استبدلت الرؤية الحديثة بهـــذه النماذج التفسيرية نموذجا واحدا يقوم على النظر العقلي والمنهج العلمـــي".[2] وقـــد انقضت بظهور نظرية مركز القوة الثالث أو التصرّفات اللاشعورية التي هـــي أســـاس مصدر القوة الدافعة في تصرّفات البشر، والتي أتت بها نظريات فرويـــد ومـــاركس، ونيتشه.

والخلاصة، أن كل هذه الاتّجاهات–دون أدنى شك–هي التي أفرزت ما يسمى بالمذاهب الغربية، وهذه المذاهب مرورا بالمذهب الاتّباعي (الكلاسيكي)، والرومانسي (الابتداعي أو الانطباعي أو التأثّري)، والواقعي، والمـــذهب الجمـــالي ، والمـــذهب الرمزي، والمذهب الطبيعي، والسريالي، ومذهب البرناسية، إلى المذهب الوجودي، كل هذه المذاهب وما فيها من محتويات ومضامين قد أثّرت في أدبنا المعاصر.

ومما يؤسف له أن التقليد الأعمى لهذه المذاهب، هو ما دأب عليه، كثير من أدبائنا المعاصرين، مما شوّه مفهوم الأدب، "والمدهش أننا لا نجد ناقدا رفض النتاج الأدبي لأعلام هذه المدارس، ولا لأتباعهم في الآداب الأخرى أمثال: ناظم حكمت، وبول ايلوار، وعبد الوهاب البياتي، ونجيب محفوظ، وسهيل إدريس وحنا مينه وغيرهم ... ولم يشر أحد إلى وضوح العقيدة الشيوعية أو الوجودية في كتاباتهم، ولم يقل أحد أنها عابت نتاجهم ، وأنهم لم يخلصوا للفن المحض".[3]

الحقيقة أن الأدب العربي في العصر الحديث، "كان أول احتكاكه بالحضارة الغربية عن طريق حركة الاستشراق، والبعثات الدراسية، وجماعة المهجر أو الرابطة القلمية الذين عاشوا في تلك البلاد الغربية، ونقلوا لنا الثقافة الغربية بصالحها وطالحها، بإيجابياتها وسلبياتها، مما نتج عن ذلك تلك الاتجاهات والمذاهب ، التي لا تخدم سوى أيدلوجيات مادية بحتة".[4]

من أجل هذا، فقد انقسم أدباؤنا بين المعسكرين الشرقي والغربي، فأما الذين تحيّزوا للعالم الغربي، فهم من أمثال: عبد الوهاب البياتي، ومحمد الفيتوري، وعبد الرحمن الخميسي، وعبد الرحمن الشرقاوي، ومحمود درويش، وتوفيق زيّاد، وأحمد سليمان الأحمد ... الخ. وهم الذين راحوا يجسّدون أفكار هذا الاتجاه، ويدعون من خلال مؤلفاتهم، وأعمالهم الأدبية إلى الالتحاق به.

ووجد الاتجاه الغربي أناسا يعطفون عليه، ويدعونا بشدة إلى اعتناق فنونه، وتقليد آدابه، من أمثال: أدونيس ، ويوسف الخال، وسعيد عقل، وغالي شكري ...الخ. وعلى نفس الشاكلة والمنوال، ذهب آخرون في تثبيت الواقعية الاشتراكية الماركسية في صياغتها الأدبية من أمثال: محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، ورجاء النقاش، وحسين مروة، ومحمد مندور، وعبد المنعم تليمه ...الخ. بل إن النصرانية

بعينها، قد دخلت وتربّعت وسط المجتمع المسلم، ووجدت من أدبائنا من يدعو لها من أمثال: صلاح عبد الصبور، وبدر شاكر السيّاب في بعض قصائدهم.[5] ومما يسوء الحال، أن روّاد هذه الملحمة الأدبية، كتّابا وشعراء لا يشق لهم غبار، من ذوي قدرات فنية عالية ،مثل: نجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس، ويوسف السباعي، في القصة، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، وبدر شاكر السيّاب في الشعر ... وغيرهم .

وإليك بعض مصادر التزوير – كما سمّاها الدكتور المطعني – في الأدب العربي الحديث.[6] أنشد علي أحمد سعيد (أدونيس) قصيدة من الشعر الحر، بعنوان: (مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف)، ما يأتي:

"... في خريطة تمتد إلخ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيج تعبّر في مسامة رؤوس كالقطن المنقوش، أيام تحمل أفخاذا مثقوبة تدخل في تاريخ فارغ إلا من الأظافر، مثلثات بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة؛ كلّ شيء يدخل إلى الأرض من سمّ الحشرة الله الشاعر."[7]

وجاء في قصيدة أخرى، بعنوان: (هذا هو اسمي)، ما يلي:

هكذا أحببت خيمه

وجعلت الرمل في أهدابها

شجرا يمطّر والصحراء غيمه

ورأيت الله كالشحاذ في أرض علي

وخبزت المئذنة

ورأيت البحر يأتي في ضباب المدخنة

هائجا يهمس: من كوننا

.....

نطق البحر : يبسنا

يبس التاريخ من تكراره

في طواحين الهواء

سقط الخالق في تابوته

سقط المخلوق في تابوته[8]

وأنشد في قصيدة أخرى ، بعنوان : (أغاني مهيار الدمشقي):

وجه مهيار نار

تحرق أرض النجوم الأليفة

هوذا يتخطّى تخوم الخليفة

رافعا يبرق الأفول

هادما كـــل دار

وهذا يرفض الإمامة[9]

ابسط ما يقال عن هذا، إنه تشويش للحقيقة الربّانية، وعدم احتـــرام للمصـــطلحات الدينية، التي أول من ينبغي أن يصونها المسلم ؟!

وذكر الشاعر نزار قباني: "حين أراد الله أن يتصل بالإنسان، لجأ إلى الشعر، إلى الـــنغم المسكوب، والحرف الجميل، والفاصلة الأنيقة. كان بوسعه أن يستعمل سلطته كـــرب، فيقول للإنسان كن مؤمنا بي.. فيكون، ولكنه لم يفعل، اختار الطريق الأجمـــل، اختـــار الأسلوب الأنبل، اختار الشعر".[10]

ثم أثبت سورة مريم، وشطّرها على نظام المقطوعات الشعرية، وقطّعها على نظام الشعر الحديث، وبعدها مباشرة قال: "هذه واحدة من قصائد الله. هل أدلكم علـــى قصـــائد

أخرى؟ إذن فافتحوا الأناجيل .. أقروا المزامير .. لتروا كيف تسيل حنجرة الله بالشعر".[11]

لقد مسخ الشاعر الحقيقة، حين جعل القرآن المعجز بآياته بمرتبة قول الشعر للبشر، وتناسى نزار قباني قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾.[12]

وأنشد نزار قباني في رثاء جمال عبد الناصر:

قتلناك.. يا آخر الأنبياء

قتلناك ..

ليس جديدا علينا

اغتيال الصحابة والأولياء

فكم من رسول قتلناه ..

وكم من إمام ذبحناه وهو يصلّي صلاة العشاء ..

فتاريخنا كلّه محنة ..

وأيامنا كلّها كربلاء..[13]

وهذا شعر يوحي بعدم احترامه للرموز والمصطلحات الدينية، فلم يكن الزعيم جمال عبد الناصر آخر الأنبياء ولم يكن من الصحابة والأولياء. بل وينشد نزار قباني في قصيدته (خبز وحشيش وقمر):

في بلادي في بلاد الشرق لما

يبلغ البدر تمامه

يتعرى الشرق من كل كرامة .. ونضال

والملايين التي تركض من غير نعال

التي تسكن في الليل بيوتا من سعال
والتي تؤمن في أربعة زوجات وفي يوم القيامة
وفي قصيدة أخرى بعنوان : (أشعار خارجة على القانون) ينشد:
أوقفوني وأنا أضحك كالمجنون
من خطاب كان يلقيه أمير المؤمنين
فاعذروني أيها السادة إن حطمت صندوق العجائب
وتقيأت على وجه أمير المؤمنين.[14]

فالشاعر يا ترى، يطالب القارئ أن يعذره عن سوء أدبه، وعدم احترامه للمصطلحات الإسلامية، أم ماذا؟!

أمّا شاعر المهجر، إيليا أبو ماضي، فلا يعرف من أين جاء في قصيدته (الطلاسم)؛ حيث ينشد:

قد سألت البحر يوما هل أنا يا بحر منك
أصحيح ما رواه بعضهم عني وعنكا؟
أم ترى ما زعموا زورا وبهتانا وإفكا
ضحكت أمواجه مني وقالت:
لست أدري ..

وإننا نتساءل، أين هذا من قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر﴾.[15]

وإذا عرّجنا على شعر بدر شاكر السياب، نرى عدم احترام المصطلح الديني واضحا وضوح الشمس في كبد السماء في بعض أشعاره، ففي قصيدة له بعنوان: (في المغرب العربي)، ينشد:

فنحن جميعا أموات

أنا ومحمد والله

هذا قبرنا أنقاض مئذنة معفرة

عليها يكتب اسم محمد والله

على كسر مبعثرة

من الآجر والفخار

.....

فيا قبر الإله على النهار

ظل لألف حربة وفيل[16]

وفي قصيدته بعنوان : (قافلة الضياع)، ينشد السياب:

كان المسيح بجنبه الدامي ومئزره العتيق

يسد ما حفرته ألسنة الكلاب

بل إن النصرانية التي هزمت في بلادها، وعزلت عن الحياة، دخلت بفضل الغزو الفكري إلى نتاج عدد من أدبائنا، راحوا يستخدمون الرموز النصرانية مثل: عبد الوهاب البياتي، في قصيدته بعنوان: (تحية إلى الجزائر):

أقسمت يا جزائري الجديدة

أن أحمل الصليب

أن أطأ اللهيب

بل أننا نجد هذه الظاهرة واضحة في شعر الشاعر صلاح عبد الصبور، حيث ينشد قصيدة له بعنوان:

(الظل والصليب) يقول فيها:

أنا الذي أحيا بلا ظل بلا... صليب

الظل لص يسرق السعادة

ومن يعش بظله يمشي إلى الصليب في نهاية الطريق.[17]

ثم نختم بصلاح عبد الصبور، بقصيدته المشهورة – مع الأسف – (الناس في بلادي)، وهي قصيدة فيها إشارات واضحة عن تشويه الرموز الإسلامية ودلالاتها، وسخرية بالمصطلحات الإسلامية التي ينبغي أن يصونها المسلم الحق؛ فهو ينشد:

الناس في بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة المطر

وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب

خطاهم تريد أن تسوخ في التراب

ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجشأون

لكنهم بشر

وطيّبون حين يملكون قبضتي نقود

ومؤمنون بالقدر

وعند باب قريتي يجلس عمي (مصطفى)

وهو يحب المصطفى

وهو يقضي ساعة بين الأصيل والمساء

وحوله الرجال واجمون

يحكي لهـــم حكاية ... تجربة الحياة
حكاية تثير في النفوس لوعة العدم
تجعـــل الـــرجال ينشجـــون
ويطرقون
يحـــدقـــون في الســـكـــون
في لجة الرعب العميق ، والفراغ، والسكون
ما غاية الإنسان من أتعابه ؟ ما غاية الحياة؟
يا أيها الإله!!
الشمس مجتلاك، والهلال مفرق الجبين
وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين
وأنت نافذ القضاء أيها الإله
بنى فـــلان واعتلى وشيّد القـــلاع
وأربعون غرفة قد ملئت بالذهب اللماع
وفي مساء واهن الأصداء جاءه عزريل
يحمـــل بين أصبعيه دفترا صغـــيرا
ومدّ عزريل عصاه
بسرّ حرفي (كن) بسرّ لفظ (كان)
وفي الجحيم دحرجت روح فلان
يا أيّها الإله...
كم أنت قاس موحش يا أيّها الإله...[18]

وإن كان ما سبق مجال الشعر، فمجال القصة أرحب؛ حيث اتسعت هذه الموجة في العصر الحديث عندما سقطت أساليب الغرب في محاربة الإسلام أمام موائد البحث العلمي، ولم يبق من هذه الأساليب سوى الأسلوب الأدبي، "فالقصة تعطي لهم فسحة واسعة في هذا المجال، وهذا الأسلوب نجح إلى حدّ ما في تشويه الإسلام، إفساح الطريق لمذاهب ليس للإسلام فيها أي نصيب، ومن هذه المذاهب خرجت السحب الداكنة لحجب النظرة الإسلامية، وتمّ تدوين القصص المليئة بالهزل والسخرية نظرا لأن هذا النوع له مفعول أكيد في موات القلوب، وطمس روح الإيمان".[19] والقصة هي لعبة الغرب أمس واليوم وغدا، ولنسمع ما قاله توفيق الحكيم عن مسرحية (محمد) التي كتبها (فولتير) حيث قال: "قرأت لسنوات خلت قصة فولتير التمثيلية (محمد) فخجلت أن يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبي صلى الله عليه وسلم سبا قبيحا، عجبت له وما أدركت له علة لكن عجبي لم يطل فقد رأيته يهديها إلى (البابا بنوا) الرابع عشر بهذه العبارات: فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابا بالفضيلة، إذا تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية، والي من غير وكيل رب السلام، فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب، ومؤلفه، وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة، وإني مع الإجلال العميق أجثو وأقبل قدميك المقدستين".[20]

ولكن – مع الأسف – سار بعض أدبائنا مع الركب، ومع التيار، دون شعور بالخطر المحلق فوقهم، فأساءوا إلى الإسلام ورموزه بقصد أو بغير قصد، فالله يعلم مافي القلوب، فخرجت هذه القصص الذي كرّمها الغرب دون شك، ووقف يدافع عنها، ويزود عن حياضها، ويمنحها الجوائز العالميّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر منها:[21]

1- أولاد حارتنا، لنجيب محفوظ.

نالت هذه القصة جائزة نوبل للأدب، وقد اهتمّ بهذه القصة دارسوا الأدب العربي من الأجانب والغربيين والمستشرقين لا لشيء سوى أنها تحطم كل ما هو مقدس من الأديان والرسل والكتب والغيبيات، وقد أُثير الجدل "حول هذه الرواية مرتين: الأولى عام 1959م. عندما كتبها المؤلف، وقامت جريدة الأهرام بنشرها مسلسلة حيث احتج عليها الأزهر، وأصدر قراره بمصادرتها، وعدم نشرها إلا أن محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام آنذاك تصدّى لهذا الاحتجاج، وشجع نجيب محفوظ على الاستمرار في نشرها على أن يحذف منها بعض الفقرات. أمّا الثانيّة فقد كانت عام 1988م. عندما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الأدب، وكان من أسباب حصوله على هذه الجائزة، قصة (أولاد حارتنا) التي تمّ ترجمتها إلى الإنجليزية، وصدرت عام 1981م عن دار هانيمان".[22]

والتصور المطروح من خلال القصة يشير إلى فكرة موت الإله، والرؤية في القصة تتضمن وتشتمل على التاريخ الديني للبشرية، وما بعده، وإليك ملخص القصة وشخصياتها.[23]

رموز القصة.

- تقع القصة في 114 فصلا، بعدد سور القرآن الكريم.
- الجبلاوي يرمز به إلى الله سبحانه وتعالى.
- البيت الكبير، هو السماء أو العرش.
- الحارة هي العالم أو الكون.
- أدهم هو آدم عليه السلام.
- عباس ورضوان وجليل، أبناء الجبلاوي، يرمزون للملائكة.

- إدريس هو أبليس.
- أميمة هي حوّاء عليها السلام.
- قدري وهمّام، يرمزان لقابيل وهابيل.
- جبل يرمز لموسى عليه السلام.
- رفاعة هو عيسى المسيح عليه السلام.
- قاسم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الاسم إشارة واضحة إلى كنيته " أبي القاسم".
- قنديل خادم الجبلاوي، ورسوله إلى قاسم، وهو ناموس الوحي جبريل عليه السلام.
- حارة الجرابيع، يقصد بها مكة، حيث نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم يرمز بهم إلى أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباعه وأنصاره.

عرفة، الساحر الذي تسبب في موت الجبلاوي، وهو الشيوعي الملحد الذي ينكر وجود الله تعالى. بالإضافة إلى رموز أخرى تضمنتها القصة.

موت الجبلاوي، ونهاية الرواية:

تقول القصة أن عرفة فكر في أن يقابل الجبلاوي الجد الأكبر للحارة كلها، بأن يذهب إليه في مقرّه، فيتسلل إلى القصر في الليل ليصل إلى الغرفة التي تحوي الكتاب السري، ولكن قبل أن يصل إليها يشتبك معه أحد الخدم فيقتله عرفة، ويفر من القصر ثم يستيقظ الجميع على أصوات بكاء وصراخ قادم من البيت الكبير، ويعلمون أن الجبلاوي قد مات، وتبين بعد ذلك أنه علم بموت خادمه، ولم يستطع إنقاذه لكبر سنه وشيخوخته وضعفه، فأصابه الهم والغم، ومات كمدا.

وهنا تؤكد تفاصيل موت الجبلاوي هذه أهم أحداث القصة على الإطلاق، بل هي الهدف الذي يريده المؤلف، فنجد أن موت الجبلاوي أو موت الإله، يرمز إلى أن الدين

والإيمان بالله تعالى قد استنفذ أغراضه، وانقضى عهده، ولا أمل في عودته، ثم أن موته جاء على يد عرفة، بمعنى أن انهيار الدين السماوي حدث على يد العلم الدنيوي الملحد أي أن العلم المادي هو الوحيد الذي استطاع قهر فكرة الألوهية، والقضاء عليها.

2- آيات شيطانية، لسلمان رشدي.

كتب سلمان رشدي الهندي الأصل البريطاني الجنسية قصته (آيات شيطانيّة) في مطلع عام 1989م. وهي حلقة من حلقات ذلك المخطط الخارجي الذي يحاول استغلال الأدب في الهجوم على الأديان ومحاربة الإسلام. "وما أن ظهر هذا العمل الشيطاني، ونزل إلى أسواق أوربا، وانتشر في المكتبات، وكتبت عنه الصحف حتى غضب العالم الإسلامي عن بكرة أبيه لهذه الرواية التي سبت الرسول صلى الله عليه وسلم، وعابت في أهل بيته، وتهجمت على الإسلام والقرآن. وقد أُقيمت الندوات والمؤتمرات لمناقشة هذا العمل، ومحاولة الرد عليه، ومنع انتشاره، وصدرت البيانات عن المؤسسات الدينية، وفي مقدمتها رابطة العالم الإسلامي، والأزهر تدين هذا الذي يدّعي الإسلام، وصار سلاحا في يد أعداء الإسلام يطعنون به ديننا، ورسولنا صلى الله عليه وسلم. ومن هنا هبت حكومات أوربا، ودوائر الغرب الصليبية تدافع عن سلمان رشدي، وفرضت عليه الحكومة البريطانية حراسة مشددة خوفا من أن تصل إليه يد مسلمة تثأر لدينها، كما سارعت دور النشر الغربية بشراء حق نشر الرواية، ودفعت لصاحبها آلاف الدولارات، وقامت بطبع ملايين النسخ منها حتى يزداد عدد قرائها، وتتسع بذلك مساحة الهجوم على الإسلام من خلال هذه الرواية".[24]

يحاول سلمان رشدي أن يضع روايته هذه في سياق ما يسمى بالرواية الحديثة من ناحية الأسلوب الفني، وهي تقع في 547 صفحة من القطع الكبيرة في طبعة دار فيكنج الأولى لها عام 1988م، وهناك خطان رئيسان ينتظمان أحداث الفصول التسعة.[25]

- الخط الأول: يحكي قصة (جبريل فاريشتا) وأحلامه الغريبة.
- الخط الثاني: يحكي قصة صلاح الدين شاما (أوشامكا) والتحولات التي تطرأ على شخصيته.

يتبين أن تقديم سلمان رشدي للدين والمتدينين في الآيات الشيطانية في شكل سطحي كاريكاتيري بعيد عن التحليل الفني المتعمق والجاد والمستوفي والمقنع، يكشف عن أن الدافع الأول وراءه كان إرضاء وإشباع وتكريس تصور معين عن الإسلام في نفس القارئ الغربي، وتملق فكرة هذا القارئ الثابتة عن الإسلام والمسلمين فضلا عن إشباع رغبته، ورغبة الكاتب الدفينة في التمتع باستفزاز المسلمين ورؤيتهم، وهم ينتفضون غضبا من جراء الاستهزاء بدينهم. أمّا حلم (ماهاوند) كما يرد على خاطر جبريل قاريشتا لا يقدم سوى صورة عبثية مستهزئة قصد بها أن تشير إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوته وعصر البعثة بحيث تتماشى مع ما كان الغربيون يرددونه من أكاذيب وتصورات منكرة حول هذا الأمر في أشد عهود الصليبية تعصبا. وما قبلة (جبريل) لهذه الفتاة اليهودية إلا تأكيدا وإرضاء ودر عطف الشعب اليهودي، وإدخاله في السيناريو.

3- مسافة في عقل رجل، لعلاء حامد.

كتب هذه القصة (مسافة في عقل رجل) أو (محاكمة الإله) علاء حامد، وهو موظف بمصلحة الضرائب بالقاهرة، وقد سعى كغيره من المنافقين والأدعياء للشهرة على

حساب الإسلام والطعن في عقيدته، وسبّ رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد تعرّض مؤلف هذه الرواية الآثمة للمحاكمة أمام محكمة أمن الدولة التي وجهت إليه عدّة اتهامات؛ منها الطعن في الذات الالهية، والتهجم على الأديان، وسب الرسل والأنبياء، وإنكار مسلّمات العقيدة من ثواب وعقاب وجنة ونار، واستندت المحكمة على إدانة الأزهر لهذه القصة، وقضت بسجن كاتبها ثماني سنوات عقوبة له على جرأته على السب.[26] وإليك مقتطفات من هذه القصة:

يقول الكاتب: أنا مسلم بالميراث.. لو ولدت من صلب ملحد لأصبحت مثله.. فلا اختيار لمسلم في دينه، ثم لماذا يغير الإنسان عقيدته، وقد فقد اهتمامه بالدين كمنهاج في الحياة، وهذا ما حدا بكثير من العقلانيين إلى التساؤل عن جدوى الأديان، (ص3). وقد شدّت الشرق إلى أحضان التخلف، وقد ارتفعت هامة شعوب لا تؤمن بالأديان، لقمة الحضارة.. وانقلب الحال، فأصبح الدين سبّة في تاريخ الشعوب، (ص4). وفي سخريته بالعلماء بصفتهم رموزا للعلم الديني قال: وبالنسبة لأسيادنا المعلمين إخوان شهورش أصبح الدين في حدّ ذاته هدفا يجنون من ورائه ثمرات المال، والشهرة والسلطة، ومتع الحياة، ما ظهر منها وما بطن، (ص5). ومن عباراته التي يبث بها الشك في الدين قوله: أم تلك الرسالات ليست سوى صيغ بشرية آمن بها أصحابها، ثم تداولوها بدعوى أنها إلهية؟ وعلى هذا فتصبح صلة الرسول بالله صلة افتراضية لا تدعمها حقيقة ولا يسندها برهان، (ص6). وفي دعوته إلى ترك الفضائل التي دعت إليها الأديان قال: لقد باتت أخلاقيات العصر عامة، والشرق خاصة في حاجة إلى مراجعة شاملة.. إلى تقييم جديد يضع الأمور في نصابها، تقوم بموجب هذا التقييم بإعادة تبويب العلاقات الإنسانيّة.. الحلال، والحرام تبويبا يتأسس على أسس عصرية.. لا على ما توارثناه من تركة مثقلة بالخرافات والخزعبلات، (ص 7-8). وفي

إنكاره الإله قال: نحن الحقيقة، وما عدانا وهم.. نحن الحقيقة، والحقيقة نحن، وطالما أن الله حقيقة، فلسنا سوى الله، (ص8). وفي زعمه بأن الأديان خرافات قال: لقد عجزت الأديان عن تفسير علمي مقنع.. وأذابت العقل الإنساني في محلول حمضي مركز من الخرافات، (ص9). وفي إنكاره للرسل، وسخريته بهم قال: أو ليس من حقنا أن نسأل، ونحن نصعد للقمر، ونحن نصهر الخرافات لنقذف بها في بالوعات التاريخ القذرة.. أليس من حقنا أن نسأل عن الرسل.. ما هم؟ وما هويتهم؟ (ص9).

وبعد هذا ينتقل إلى (محاكمة الإله) الذي جعله المؤلف في تمثيلية متخيلة، وجعل نفسه قطب هذه التمثيلية، فصور نفسه إلها، وأخذ يتصرف كما يتصرف الإله بين الخلق، لينتهي من هذا كله إلى تقرير أن جميع المعتقدات في الإله، وفي الرسل والثواب والعقاب الدنيوي والأخروي هي وهم من تصورات الناس على شبه ما تصور هو في نفسه أنه إله.. قاتلهم الله انا يؤفكون.

ثم ختم التمثيلية التي صورها في صورة محاكمة إله بفصول خصصها للنقاش المباشر للعقائد الإسلامية والتنديد بها، والسخرية منها، ثم لعرض آرائه الشيوعية المادية.[27]

4- نائب عزرائيل، ليوسف السباعي.

صدرت القصة في عام 1947م. وهي في حوالي 134 صفحة، في أحد عشر فصلا، وشخصيات القصة هم: (يوسف) وهو الراوي ويمثل نائب عزرائيل، ثم عزرائيل نفسه، ثم الأرواح التي سوف تنزع.

يتصدر المؤلف قصته بمقدمة يقول فيها بالحرف الواحد "الإهداء إلى سيدنا عزرائيل.. الجميل! هذا الكتاب يا سيد عزرائيل، أنت بطله، فهو منك وإليك، حاولت فيه بدافع الوفاء أن أظهرك للبشر على حقيقتك – أو على ما أظنه حقيقتك

– وأن أزيل من أذهانهم تلك الصورة الشوهاء الشنعاء التي يتخيلونك بها. لست أدري إلى أي حدّ نجحت، ولا إلى أي حد قد أرضيت.. أجل إلى أي حد قد أرضيتك، وأرضيت البشر، وأرضيت نفسي؟ أمّا عن نفسي.. فهي راضية، ولست أشك أن في رضاها مظهرا من مظاهر الغرور الذي يلازم الإنسان.. أمّا عن البشر فلا أظن هناك أنسانا استطاع أن يرضيهم.. أمّا عنك.. فما رأيك؟ لا تتسرع وتعلن سخطك، واذكر أنني لم أقصد بكتابي إلا إنصافك وتقديرك.. وإنما الأعمال بالنيّات".[28]

والملاحظ أن المؤلف يخرج سيدنا عزرائيل في صورة بشر لا أكثر من ذلك، أمّا عن هيبته ومكانته، فلا شيء يذكر، وعامل السخرية واضح من خلال عبارات الكاتب، وهل حقيقة عزرائيل هي هذه الحقيقة المشوهة التي أشار إليها الكاتب؟ وإليك تلخيص موجز عن القصة:

بداية القصة كانت في السماء، حين يكتشف يوسف أن روحه صعدت إلى السماء خطأ فقد دخلت كل الأرواح التي كانت معه السماء، وتركته وحيدا واقفا على بابها. وبعد فحص كشف الموتى يتضح الخطأ الذي وقع فيه عزرائيل، فقد التبس عليه الإسم لأول مرّة في تاريخ السماء، ويكتشف أنه أخذ روحا بدلا من أخرى بالخطأ، وهنا يتقدم عزرائيل معتذرا، ويطلب من يوسف كتم سر الموت، فهو سهل غير مؤلم، بعكس ما يتخيله البشر.

وبالنظر إلى صلب النص، نجد الكاتب يجعل من شخصية سيدنا عزرائيل شخصية رجل ضعيف متهالك، لا حول له ولا قوة، وفي سخرية واضحة يقول: "وكان صوته مليئا بالرجاء، ونظراته تستثير العطف حتى لم يسعني إلا أن ألبي رجاءه، وأعده بما يطلب.. وإن كان الشيطان قد بدأ يوسوس لي ويحضني على ألا أرضخ ولا أمتثل.. عزرائيل ذلك الجبار الذي ترتجف من ذكره الأفئدة، وتهلع من اسمه القلوب..

يقع في يدي.. فأتركه يفر بهذه السهولة.. وأعفوا عنه بهذه البساطة.. ألم يكن من الأفضل أن أنتهز هذه الفرصة فأضج بالصياح، وأفضحه بين أهل السماء.. أو على الأقل أساومه في مطلبه، وأطلب منه أجرا نظيره، وأحسست بالكبرياء تملأ نفسي، ولم أشعر أني تمنيت شيئا قدر أن يراني أهل الأرض في هذا الموقف.. وعزرائيل المخيف الذي لا يرحم.. يرجوني العودة إلى الحياة.. وأنا أتأبى وأتمنع ".[29]

يمنح عزرائيل وقتا لمقابلة حبيبته، ويؤجل أمر رجوعه للأرض. ويوافق عزرائيل، وبسرعة يعطي نائبه قائمة الوفيات المطلوبة، وأدوات العمل؛ وهي عبارة عن عصا صغيرة لإخراج الروح من الجسد، وكيس لحمل الأرواح. حيث جاء في السرد الأتي: "رأيته قد أخرج من عباءته عصا صغيرة وقدمها لي.. وأخرج من جيبه ورقة مطوية وكيسا صغيرا، وبدأ يشرح المهمة العجيبة قائلا: هنا بيان بالأرواح المطلوبة قبضها.. وليس عليك إلا أن تشير إلى الروح بهذه العصا.. حتى تترك جسدها مطيعة صاغرة.. وعندما تتجمع لديك كل الأرواح المطلوبة قبضها في هذا الكيس تحضرها إلي".[30]

وأخيرا نتساءل: هل هذه هي الصورة العادلة التي ارتضاها الكاتب لسيدنا عزرائيل، وهل أنصف الكاتب عزرائيل؟ يقول ابن كثير في وصف عمل عزرائيل: "ملك الموت عزرائيل له أعوان، وأن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت".[31] إن مزاح الكاتب لا يغفر له العبث بالأديان والسخرية منها، وبالملائكة، رسل الله إلى البشر، فالإسلام ليس موضعا للتسلية، والتطاول، والاستهزاء. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.[32]

وهنا نلحظ أن الكاتب يرتكب خطأ فادحا عندما يصف سيدنا عزرائيل بالخيانة، والتفريط في أدائه، والغش. وهذه إهانة لا تليق بسيدنا عزرائيل.

بعد هذا الاستعراض الموجز، لعلنا أجبنا عن السؤال المطروح (لماذا إسلامية الأدب أو أسلمة الأدب؟)، بطريقة غير مباشرة، لأن الآراء المناوئة لفكرة أسلمة الأدب تمثّلت من خلال غرض تلك الأمثلة، السالفة الذكر، والتي أكّدت على وجوب أدب إسلامي، يزيح هذه الفوضوية، والعبثية التي حلّت على آدابنا في هذا العصر الحديث. بل أننا نؤكّد بكل صدق، إن الالتزام الإسلامي للأدب، أو إسلامية الأدب، ووجوب وجود معايير نقدية إسلامية لتقويم الآداب عامة، والآداب المنحرفة خاصة ونقدها ، أصبح – دون أدنى شك – ضرورة ملحّة، وعملاً جماعياً لابدّ أن تعمل من أجل تحقيقه، الروابط الإسلامية الأدبية.

الجانب الآخر: مفهوم الأدب الإسلامي أو إسلاميّة الأدب.

كتب في مفهوم الأدب الإسلامي كثير من أعلام الأدباء في العصر الحديث، وحسبنا أن نشير إلى تعريفات بعضهم، ومن ثمّ نتناولها بالنقاش الهادف البنّاء، للوصول إلى مفهوم مقبول.

1- الأستاذ سيد قطب.

جاءت تعريفات سيد قطب للأدب عامة، وللأدب الإسلامي خاصة، دقيقة ومحكمة، رغم إيجاز عباراتها، يقول عن العمل الأدبي إنه: "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية".[33] ثم يعود فيعرفه في مبحث (منهج للأدب) بأنه: "تعبير موح عن قيم حيّة

ينفعل بها ضمير الفنان.. هذه القيم.. تنبثق عن تصوّر معيّن للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض".[34]

يعتمد العمل الأدبي على جزئيتين، لا يقوم بغيرهما: "التجربة الشعورية، ثم التعبير عنها تعبيرا موحيا جميلا، ويراد بالتجربة، انفعال الأديب والفنان بمؤثر ما، أو موقف من المواقف، يتحرك له وجدانه، فيسعى إلى التعبير عنه تعبيرا جميلا مؤثرا في نفوس الآخرين، لينفعلوا مثلما انفعل هو. وإذا كان للإسلام تصوّر معيّن للحياة تنبثق عنه قيم خاصة لها، فمن الطبيعي أن يكون التعبير عن هذه القيم ذا لون خاص يختلف اختلافا بيّنا عن ذلك التعبير الذي يصدر عن تصوّر غير إسلامي. ومن هنا رأينا سيد قطب يعرّف الأدب الإسلامي بأنه: " التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلاميّة".[35]

2- الأستاذ محمد قطب.

جاء مفهوم الأستاذ محمد قطب عن الفن (الأدب) الإسلامي كما يلي: "الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام! وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث على إتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صورة فلسفية، فليس هذا أو ذاك فنا على الإطلاق! وإنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق. فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود".[36]

حاول المؤلف أن يوضح العلاقة بين الفن والإسلام، فهي ليست علاقة النفور والخصام، كما يرى البعض أن الأديان تبحث عن الحقيقة، والفن يبحث عن الجمال. وفرق بين الحقيقة التي تتقيد بأنها حقيقة، وبين الجمال الذي لا يتقيّد بشيء، لأنه هائم طليق يسبح في عالم الخيال. وليس كما يقال إن الأديان تحرص على الأخلاق، والفن يكره القيود كلها بما فيها قيود الأخلاق، كما ليس الفن الإسلامي مجموعة من الحكم، والمواعظ والإرشادات. فكل هذه مفاهيم ضيّقة للدين والفن على السواء. بل كما يرى محمد قطب "إن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن، فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة... ومن هنا يلتقي الفن والعقيدة في أعماق النفس، كما يلتقيان في أعماق الوجود".[37]

فهذا هو مفهوم الأستاذ محمد قطب للفن الإسلامي، وهو مفهوم يدعو فيه إلى عالميّة الأدب، فقد جاءت نماذجه الأدبية متنوعة مختلفة تمثل النص الأدبي، لا الشخصيّة، ففكرة الالتزام عنده ترتكز على النص الأدبي، وأن يكون داخل الإطار الإسلامي، حاول أن يتلمس فيها نماذج تطبيقية للأدب الإسلامي عامة، فلم يركّز على أدب بعينه، فاختار نماذج للأجناس الأدبية، من آداب متباينة؛ مثل أشعار جلال الدين، إقبال، طاغور وغيرهم، وهذه فكرة طيّبة، يتمّ عن طريقها وإشهارها التمازج بين آداب الشعوب الإسلاميّة على اختلاف لغاتها وعاداتها وتقاليدها.

3- الدكتور عماد الدين خليل.

تحدث عن تعريف الأدب الإسلامي، وأركانه، فعرّفه بأنه: "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصوّر الإسلامي للوجود".[38] فهو يرى أن التجربة الإسلاميّة المنبثقة عن التصور

الإسلامي مندرجة ضمنا في سياق هذا التعريف، فهناك ركنان أساسيان يتضمن كل منهما عناصر فرعيّة.

أولا: التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة، وهو أمر لا بدّ أن يتحقق، وليس بأي وسيلة أو أداة أخرى، وأن يملك جماليته الخاصة، وقدرته في الوقت نفسه على التأثير، على توصيل الشحنة الفنيّة إلى الآخرين، وإحداث الهزّة المرجوة فيهم.

ثانيا: التصور الإسلامي للوجود، وهنا لا بدّ أن يملك الأديب المسلم فلسفة، أو تصورا، أو موقفا شموليا إزاء الكون والحياة والإنسان، وأن ينبثق هذا التصور، الذي يطبع التجربة الذاتيّة طولا وعرضا وعمقا، عن الإسلام المتميّز، المتفرد المبين. وأي إغفال لواحد من هذين الركنين، وأي تجاهل لأحد العناصر الفرعيّة التي يتضمنانها سوف يخرج بالعمل الأدبي عن كونه أدبا إسلاميّا. وقد يكون الأدب فنا جميلا مؤثرا، ولكنه لا يصدر عن التصور الإسلامي، ولا يمسّه من قريب أو بعيد، فهو ليس أدبا إسلاميّا بحال من الأحوال. وقد نلتقي بعمل يتضمن قدرا من المعطيات الجماليّة المؤثرة بأداة أخرى غير الكلمة، كالريشة أو الآلة الموسيقية أو الأزميل، فهو أيضا ليس أدبا إسلاميا، ولكنه قد يكون فنّا إسلاميّا. وقد نلتقي بتعبير جميل عن الإسلام، ولكنه لا يملك قدرته على التوصيل أو التأثير، لأنه لا يتجاوز الشكل إلى المضمون، ولا يعدو أن يكون زُخرفا من القول، وليس أدبا إسلاميّا. إذا لا بدّ من وجود الركنين بكل عناصرهما الفرعيّة، لكي يتحقق مفهوم الأدب الإسلامي، لا بدّ من تحقق القدرة الإبداعيّة لدى الأديب المسلم من جهة، ونقاء التصور الإسلامي وهيمنته على ما يصدر عنه فكرا وعملا من جهة أخرى.

4- الدكتور نجيب الكيلاني:

يرتكز مفهوم الأدب الإسلامي عند نجيب الكيلاني على أن الأدب هو "تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرّك للوجدان والفكر، ومحفّز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما".[39]

يقصد بتعبير فني جميل مؤثر أي لابدّ للأدب الإسلامي من اتخاذ القيم الفنيّة الجماليّة في إبداعاته، بل الأدب يحرص على القيم الفنيّة أشد الحرص، ولا يجعلها شيئا جانبيا. فإنه أيضا لجميع الشعوب، ولا ينحصر في الأمة العربية فحسب، فهو أدب لكل المسلمين. والتعبير الفني المثير أيضا يتضمن سائر اللغات، وصيغها الفنيّة، وخصوصيتها في التعبير والاستعارات والمجازات المختلفة، إلى جانب الاهتمام بالتعبير الفني. لابدّ للأدب الإسلامي أن يهتم اهتماما كبيرا بمضمونه الفكري الذي هو نابع من قيم الإسلام. هذا المعنى يتجلى في العبارة التي وردت في تعريف الأدب الإسلامي أنه نابع من ذات مؤمنة، وذلك المضمون والشكل الفني نسيج واحد معبر أصدق تعبير.

أما في العبارة (فمترجم عن الحياة والإنسان والكون) أي ينبغي للأدب الإسلامي أن يكون مرآة خالصة للحياة البشرية حين يستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول في أغراضه أو مضمونه القضايا، ومظاهر ومشكلات البشرية وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة، وبمعنى آخر فأن الأديب المسلم هو الطبيب أو المصلح الذي يداوي الأمراض عن طريق الأدب وتوجهيه. ولابدّ للأديب المسلم أن يكون صادقا، مع نفسه ومجتمعه، لأنه رابط بينه وبين البيئة حوله. يقول الكيلاني عن وظيفة الأديب: "لا يزيف حقيقة، أو يخلق وَهْماً فاسدا، أو يحابي ضلالا، أو يزيف نفاقا، ويطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، ومن ثم ينهض بعزائم

المستضعفين، وينصر قضايا المظلومين، ويخفف من بلايا وأحزان المعذبين، ويبشر بالخير والحب والحق والجمال". [40] يقول الكيلاني أيضا إنه الأدب الذي يعبر بصدق، وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة، ويتناول نواحي الضعف والتردد والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها، والشفاء منها، لا لمجرد تبريرها، أو التماس الأعذار لها. وتصوير الأدب الإسلامي للإنسان نابع من وصف الخالق للمخلوقين.[41]

على الرغم من اهتمام الأدب الإسلامي بجانب الحقائق والصدق، وغير ذلك، فإنه ليس قواعد جامدة أو صيغا معزولة عن الحياة والواقع أو خطبا وعظية تثقلها النصوص والأحكام، ولكنّه صور جميلة نامية متطورة، تتزين بما يزيدها جمالا وجلالا، ويجعلها أقوى تأثيرا وفاعلية.[42] لقد جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾،[43] إذن ينبغي للأديب الإسلامي أن يؤمن أن الحياة الدنيا امتحان، وتجربة، ودار أعمال، خلقت لهدف وغاية، وفيها نظام وشرائع ينبغي أن تُتبع.

يهتم الأدب الإسلامي بصدق التجربة، وهذا ما يميّزها عن الآداب المنحرفة، أي أنه ليس خطبا وعظية تثقلها النصوص الأدبية والأحكام، ولكنّه تعبير فاعل له جاذبيّة خاصة وإحساس مرهف.[44] وذلك هو المقصود بعبارة (باعث للمتعة والمنفعة). ثم لابدّ للأدب الإسلامي أن يكون محركا للوجدان والفكر، لأن من سمات الأدب الإسلامي أن يكون أدب الضمير الحي، والوجدان السليم والتصور الصحيح والخيال البنّاء والعواطف المستقيمة.[45] أما عبارة محفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما. فإنه يقصد بها لابد أن يكون أدب وضوح، ولا يجنح إلى إبهام مضلل، أو سوداوية محيرة قاتلة، أو يأس مدمر، فالوضوح هو شاطىء الأمان الذي يأوي إليه الحائرون والتائهون في بيداء الحياة المخيفة.[46]

5– الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا.

عرّف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا الأدب الإسلامي بأنه:" التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عزّ وجلّ ومخلوقاته، ولا يجافي القيم الإسلاميّة".[47] ويراد بفنيّة التعبير جماله وروعته، وتلك الفنيّة هي لحمة الأدب وسداه من حيث هو أدب، فكيف بالأدب الإسلامي الذي يستمد روحه من كتاب الله تعالى، ومن كلام رسوله عليه الصلاة والسلام؟ وفي كون هذا التعبير الفني هادفا، صون له عن عبث العابثين، وغلو الماجنين، فلا يعرف ذلك، وإنما يزخر بالمؤانسة البريئة، وهي تتخلل جماله وروعته، كما يعمر بالإمتاع البناء الذي هو لازم من لوازم غايات هذا الأدب وأهدافه.

وفي وصف هذا التعبير الفني الهادف بكونه نابعا من التصور الإسلامي للخالق ومخلوقاته، تحديد لمصدر هذا الينبوع، واحتراز من أن يصدر ذلك التعبير من تصوّر غير إسلامي، وعندئذ فلا تؤمن عواقبه، ولا يستقيم مجراه، فقد يكون هذا الأدب فنّا هادفا نافعا، وهو حسن ممدوح، وقد يكون هادما ضارا. وسرّ هذا التذبذب والاضطراب هو اختلاف روّاد الأدب وهم بشر من البشر في تحديد غايات الأدب، وتصادمه في رسم أهدافه، فبينما يذهب جمع من الأدباء والمفكرين إلى ضرورة كون الأدب ممتعا بانيا، تذهب طائفة أخرى إلى منابذة ذلك ومعارضته؛ فيرون أن إبداع الأديب وإمتاعه مرهونان بإطلاق العنان لريشته الفنيّة، تسرح وتمرح، وتصول في مجال الخير كما تجول في ميدان الشر، وبذلك تضيع شخصيّة الأديب، ويهتزّ كيانه، فليس في عداد الأدباء البناة، وإنما قد يكون في زمرة الهدّامين الجناة، سواء أقصد ذلك أم لم يقصده.[48] وهناك محاولات أخرى لتعريف الأدب الإسلامي ومفهومه، ولكنها تتفق مع نظرة هؤلاء في إطارها العام.

والخلاصة في نظري أن ينظر إلى مفهوم الأدب الإسلامي أو إسلامية الأدب على أنها تمازج بين الماضي في معطياته الفنية الإبداعية، والحاضر في عطائه المعـــرفي الثـــر، وأن يكون الإطار الإسلامي هو الحكم بين النظرتين.

وأخيرا، فلا بدّ أن تتكاتف جهود المفكرين الإسلاميين والأدباء، وتتحد الأقلام من أجل كلمة سواء، من أجل إسلامية الأدب. فإن شمس الإسلام تشرق من جديد، لتضيئ بنورها الوضّاء الآفاق.

الخلاصة والنتائج .

أولا: إن إسلامية الأدب ترتبط بالفكر الإسلامي والعقيدة، وعلى ضـــوئهما نتصـــور الأدب الإسلامي.

ثانيا: إن مفهوم إسلامية الأدب يتحقق في التمازج بين الماضي والحاضـــر، في النظـــرة التوفيقية بين الأصالة والحداثة تحت الإطار الإسلامي.

ثالثا: من خلال التصور الأدبي الإسلامي الرائع للكون، والإنسان، والمجتمـــع، تنبـــع إسلامية الأدب.

رابعا: المذاهب الأدبية الغربية لا تمثل مذهبا أدبيا إسلاميا ملتزما لبعـــد الشـــقّة، بـــين الأدبين.

خامسا: لا يمكن فصل الأدب عن العقيدة، لأن كليهما ينفذان من مشـــكاة واحـــدة، وهي إصلاح المجتمع.

[1] عبدالمولى، عزالدين، مجلة إسلاميّة المعرفة، العدد الرابع، أبريل 1996م، ص98.

[2] .Habermas,Jurgen, **The Philosophical Discourse of Modernity**, (Cambridge: Polity Press, 1994), p. xix.

[3] بدر، عبدالباسط، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، (السعودية: دار المنار، ط1، 1985م)، ص32–33.

[4] حسين، نصرالدين إبراهيم أحمد، نحو إطار إسلامي للشعر العربي، (ماليزيا: مطبعة الجامعة الإسلاميّة العالمية بماليزيا، ط1، عام 1998م)، ص49–50.

[5] حسين، نصرالدين إبراهيم أحمد، الأدب الإسلامي؛ دراسة نظرية وتطبيقية، (ماليزيا: مطبعة الجامعة الإسلاميّة العالمية بماليزيا، ط1، عام 2008م)، ص54–56.

[6] المطعني، عبدالعظيم إبراهيم محمد، مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، ب.ت.)، ص10–25.

[7] أدونيس، علي أحمد سعيد، هذا اسمي؛ صياغة نهائية، (بيروت: دار الآداب، ط1، عام 1988م)، ص19.

[8] المرجع السابق، ص 40–41.

[9] المرجع السابق، ص 45.

[10] قباني، نزار، الأعمال النثرية الكاملة، (بيروت–لبنان، ط1، عام 1993م)، ج7، ص67.

[11] المرجع السابق، ج7،ص 70.

[12] سورة يس: 69.

[13] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، (بيروت، ط5، عام 1993م)، ج3، ص355.

[14] المرجع السابق، ج3، ص360.

[15] سورة المؤمنون، آية (12–14).

[16] السياب، بدر شاكر، ديوانه، بيروت، الطبعة الثانية، عام 1986م، ص30.

[17] عبد الصبور، صلاح، الناس في بلادي، بيروت، دار العودة، عام1986م، ص 149–150.

[18] المرجع السابق، ص 29–32.

[19] أبو زيد، أحمد، "الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية"، دعوة الحق، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، السعودية، السنة الثالثة عشرة، محرم 1415هـ. العدد 49–50.

[20] أيوب، سعيد، سلمان رشدي، شيطان الغرب، الرجل المارق،(القاهرة: دار الاعتصام، 1989م)، ص50.

[21] حسين، نصرالدين إبراهيم أحمد، أشكالية الالتزام الإسلامي في ضوء القصة العربية الحديثة؛ دراسة نقدية تحليلية، (ماليزيا، مطبعة الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا، ط1، عام 2008م)، ص121–147.

[22] المرجع السابق، 145.

[23] محمد يحيى، ومعتز شكري، "الطريق إلى نوبل 1988 عبر حارة نجيب محفوظ"، جريدة الحقيقة، القاهرة، العدد 46، 22 أبريل 1989م، 30.

[24] أبو زيد،أحمد، الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبيّة، ص 93.

[25] استفدنا في هذا العرض من الدراسة التي أعدّها الدكتور محمد يحيى أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة تحت عنوان: (الآيات الشيطانية.. الظاهرة والتفسير)، مصر، جامعة القاهرة.

[26] أبو زيد، أحمد، الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبيّة،ص 127.

[27] المرجع السابق، ص128–131.

[28]. السباعي، يوسف، نائب عزرائيل، (مصر: لجنة النشر للجامعيين، بدون تاريخ).

[29] المرجع السابق، ص13.

[30] المرجع السابق، ص33.

[31] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط2، عام 1997م)، ج3، ص565.

[32] سورة التوبة: آية 65–66.

[33] قطب، سيد، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، (بيروت، دار الشروق، د.ت)، ص8.

[34] قطب، سيد ، في التاريخ فكرة ومنهاج، (جدّة: الدار السعودية، د.ت)، ص11.

[35] المرجع السابق، ص 28.

[36] قطب، سيد ، منهج الفن الإسلامي، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الشرعيّة الرابعة، 1980م)، ص11.

[37] المرجع السابق، ص 5.

[38] خليل، عماد الدين، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1987م)، ص69–70.

[39] الكيلاني، نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، (قطر: كتاب الأمة، 1407هـ)، ص36.

[40] المرجع نفسه، ص34.

[41] المرجع نفسه.

[42] المرجع نفسه، ص35.

[43] سورة المؤمنون، آية 115.

[44] المرجع السابق، نجيب الكيلاني، ص35.

[45] المرجع نفسه، ص36.

[46] المرجع نفسه، ص36.

[47] الباشا، عبد الرحمن رأفت، مجلة كليّة اللغة العربية، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، العـــدد الحادي عشر، عام 1401هـــ، ص 337.

[48] النحنين، ناصر بن الرحمن، الالتزام الإسلامي في الشعر، (الرياض: دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ط1، 1987م)، ص18–19.